# مبايعة سعود بالولاية

في أواخر رجب من العام الهجري ١٢١٨ مات الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود شهيداً ، بطعنة قاتل أثيم ؛ وكان ابنه البكر ، الأمير سعود ، عند وقوع الحادث الفاجع ، في بستان له في (المشيرفة) ، ولما اجتمعت الجماهير عنده خطب فيهم واعظاً ومعزّياً، فأقبلوا عليه يبايعونه بالإمامة ويعزّونه بأبيه، ولم يتخلف أحد من أهل الدرعية والوافدين اليها من المدن والقرى عن هذه البيعة المشهودة. وأما البلدان الاخرى ، البعيدة والقريبة ، فقد كتب سعود إلى رؤسائها كتب الموعظة والتعزية وأمرهم بالمبايعة ، فكان أهل كل بلد وناحية « يبايعون أميرهم لسعود ، فبايع جميع أهل النواحي والبلدان ، وجميع رؤساء قبائل العربان ، ولم يختلف منهم اثنان ولا انتطح عنزان » [١] .

**الاجماع وولاية العهد :**

لم يكن الإجماع على مبايعة سعود بالإمامة عند وفاة أبيه أمراً مستغرباً، فقد

(١) ابن بشر .

كان سعود أقوى رجل في آل مقرن وأعظمهم هيبة وأوسعهم شهرة وأعلمهم وأبلغهم ، وكان - في الشطر الأخير من حياة أبيه - يقود الجيوش ويحارب ويصالح ويوزّع الغنائم ويمسك بكثير من مقاليد الامور .

وإلى ذلك : أن سعود كان قد بويع بولاية العهد في العام ١٢٠٢ هـ .

قال ابن بشر ، في أخبار سنة ١٢٠٢ هـ . : ( وفيها أمر الشيخ محمد ، رحمه الله تعالى ، أهل بلدان نجد وغيرهم أن يبايعوا سعود بن عبد العزيز وأن يكون ولي العهد بعد أبيه ، وذلك بأمر عبد العزيز رحمه الله تعالى ، فبايعه جميعهم . ) .

لماذا اختار الشيخ محمد بن عبد الوهاب طريقة ولاية العهد ، ولم يترك للناس حرية انتخاب إمامهم الجديد بعد وفاة عبد العزيز ؟

ولماذا وقع اختياره على سعود دون غيره ؟

الجواب على السؤال الأول : هو أن البلاد التي دخلت تحت طاعة عبد العزيز تكاثرت أقطارها وعشائرها ، ومدنها وقراها ، وزاد عدد سكانها ، وتباعدت أطرافها ، ولم تعد ، كما كانت من قبل ، رقعةً صغيرة يسهل حكمها وضبطها ، فخاف مؤسس الدعوة الإصلاحية التي وحّدت هذه البلاد الواسعة تحت راية التوحيد وجمعت سكانها على اختلاف أوطانهم تحت زعامة واحدة ،أن يمزّق الأمة بعد وفاة عبد العزيز التنافسُ بين طلاب الزعامة ، فتعود إلى الفرقة بعد الاجتماع وإلى الفوضى بعد النظام وإلى الضعف بعد القوة ،فقبل الشيخ ، نظراً منه إلى صالح المسلمين ، رأياً رآه عبد العزيز وهو أن يطلب من الجماهير مبايعة « سعود » ولياً للعهد ، فيقع التسليم بزعامته منذ الآن ، فإذا مات عبد العزيز خلفه سعود بحكم البيعة ، وبذلك تسدّ الذرائع إلى الفتنة وتحفظ للبلاد وحدتها .

أما السؤال الثاني فالجواب عنه : هو أن سعود أكبر أبناء عبد العزيز ، وكان يوم البيعة في الحادية والأربعين ، وقد عرف أبوه - كما يقول ابن غنام - حاله ( وسبَرَه ، وتحقق سيرته وخبَرَه ، فترجح عنده بيقين العلم والفهم .. ما شرُفَ به من الدهاء والحزم ، وما خُوّل من السياسة والعزم ، وما لاح في جبينه من بارق السيادة ، وما عاناه في رفع منار الهدى ومصادمة أهل الردى ... فرآه

أهلاً للسياسة وكفوأً لمنصب الرئاسة ، فحمّل أعباءها كاهله، فهي اليه آيله) [١].

وهنا .. قد يتساءل أحدنا : أليس اختيار سعود للإمامة ، بعد عبدالعزيز ، لوناً من التمهيد لحصر الإمامة في آل سعود ؟

وفي رأينا أن الشيخ محمد كان يعرف ذلك ، وأنه سلم لآل سعود بالزعامة ، على أن يتولاهـــا منهم من يثبت صلاحه ورشاده ، وبذلك وَفّقَ بين مزية الملكية ، وهي الاستمرار والاستقرار ، وبين مزية الإنتخاب ، وهي ترشيح الرجل الصالح للإمامة ودعوة الشعب إلى مبايعته،ولو أن الشيخ محمد إلى اختيار إمام للأمة من غير أفراد الأسرة الحاكمة ، التي يدين لها الناس بالولاء ، لاختلفت الأمة وتفرقت كلمتها، وربما سَهَّلَ على الشيخ القبول بمبايعة سعود ، كما بايع من قبل عبد العزيز ، أن الله سبحانه بارك في ذرية محمد بن سعود ، فظهر فيها زعماء من الطراز الأول ، تميزوا بالمواهب مثلما تميزوا بالنسب وألَتقِ الملك ..

**البيعة الثانية :**

يرى أكثر الفقهاء الذين كتبوا في السياسة الشرعية والأحكام السلطانية أن ولي العهد يصبح إماماً بمجرد وفاة سلفه ولا يحتاج إلى بيعة جديدة ، لأن الناس بايعوه من قبل بالإمامة بيعة معلقاً نفاذها على وفاة الإمام القائم. ولكن العادة جرت،في نجد وفيغيرها منالبلاد، على مبايعة ولي العهد بيعة جديدة عند تولّيه الإمامة، وربما فسّر بعضهم هذه البيعة الثانية بأنها توكيد للبيعة السابقة وتجديد للولاء ونوع من الاستفتاء يظهر به الشعب حسن قبوله للإمام الجديد ، فيزداد بذلك قوة ويطمئن إلى ثقة الأمة به والتفافها حوله .

وهذا ما حدث بعد وفاة عبد العزيز ، فقد بايع الناس لسعود بيعة جديدة بالإمامة .

---

(١) انظر تاريخ ابن غنام ، حيث يقول أيضاً ، في أخبار سنة ١٢٠٢ ، أن سبب البيعة لسعود هو اتقاء التفرقة والحسد والطمع ، لذلك دعا الشيخ أهل التوحيد كافة الى الالتزام بمبايعة سعود والقبول به خلفاً لوالده بعد موته ، فأقبلوا على البيعة بالإجماع لم يتخلف أحد منهم ( فثبتت له عند ذلك الامارة ، وحققت له بعد والده واستقرت ) .